تعليم اللغة العربية بين التراث والمعاصرة

م . م خمائل شاكر غانم
مركز إحياء التراث العلمي العربي
جامعة بغداد

المقدمة

يتناول البحث تعليم اللغة العربية وما لها من أثر بين التراث والمعاصرة إذ يعُد مقياس رقي أي مجتمع من المجتمعات مقدار عنايته بلغته القومية ، فهي وسيلته واداته للتفاهم في مواجهة المواقف المختلفة التي تتطلب الكلام ، والاستماع ، والقراءة ، والكتابة ، هي دلالة تحضره وتقدمه في احواله المختلفة ، وهي الشرط الاساس في بقائه ونمائه ، فبدونها يغيب موضوع الحديث عن مفهوم المجتمع القومي لاي شعب من الشعوب ..

واللغة العربية الفصحى هي الرابط القومي لابناء الامة العربية بوصفها اللغة المشتركة وهي لغة القرآن الكريم ، والموروث العقائدي ، ولغة الآدب .

وقد نجحت بما عليه من ميزات تتصل بثراء ألفاظها وكثرة اشتقاقاتها وتراكيبها الجميلة ، فضلاً عن انها تعبر عن انجازات العرب العلمية والانسانية وقيمهم الحضارية ، ولذا كان النجاح في تعلمها يقضي الى النجاح في المواد الدراسية المختلفة . فان مهمة رعايتها والحفاظ على سلامتها والكشف مما يعرض سبيل تعلمها أصبحت واجب المخلصين والمهتمين بتعليمها بصورة صحيحة .

اللغة العربية في التراث

أهمية اللغة العربية

١- في القرآن الكريم

من دواعي الاعتزاز باللغة العربية والاهتمام بها ، انها لغة التنزيل قال تعالى : " وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ " (*)

لقد نزل القرآن ليضيف للغة العربية عزاً وشرفاً ، وليؤكد هويتها وفضلها على اللغات الاخرى ، ويحفظها من الضياع ، وليؤكد عربية هذا القرآن فيقول " إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ " (**)

وارتباط اللغة العربية بالقرآن الكريم ، وبالسنة النبوية الشريفة وبالرسالة الاسلامية يسقط الحجة عن كل توانٍ يحمل في خدمة هذه اللغة ، والرفع من مكانتها

---

* سورة الشعراء ، آية : ١٩٢-١٩٥ .

** سورة يوسف آية : ٢ .

ويحملنا مسؤولية النهوض بها والعمل على رفع شأنها ، وإعلاء كلمتها زيادة على ما تمتلكه من رصيد فكري وأدبي ، ومن تراث الامة ، ودين وأجناس ولعل هذا ما يفسر حجم الاهتمام بالدراسات اللغوية في تراثنا وهو مالم تحظ به أي لغة من اللغات حتى عدَ من اغزر التراث اللغوي في العالم إذ لم تعرف أمة عنيت بلغتها كالامة العربية[١] .
ومما لاشك فيه أن الله سبحانه وتعالى ولحكمه باللغة العربية اراد ان تكون اللغة الخاتمة الشاملة السائدة للعالم كله ، واختار مكة مكاناً لنزول القرآن وبهذه اللغة ، لانها مدينة مقدسة عند العرب ، ففيها بيت الله الحرام ، والناس يوفدون إليها من كل حدب وصوب ، وزيادة على قدسيتها ومكانتها كانت مدينة تجارية ، إذ اشتهرت بأسواقها الادبية ، والاخير ـ سوق عكاظ ـ كان محفلاً يلتقي به الشعراء ، والخطباء في كل عام ، وكانت قريش تملك السيادة اللغوية في نظر القبائل العربية الأخرى حتى انها كانت (تعرض أشعارها على قريش فما قبلوه منها كان مقبولاً ، وما ردوه كان مردوداً)[٢] .

٢ـ في التراث

وقد حظيت اللغة العربية باهتمام أهلها لأنها المسؤولة عن حفظ تراثهم الثقافي والحضاري ، والمسؤولة عن نقل هذا الارث الاجتماعي من جيل الى جيل.
ان اللغة العربية اساس وحدة الامة ، وهي من اهم الروابط التي تجمع بين الشعوب في اقطارهم المختلفة ، وقد اثبتت حيويتها وقدرتها على التطور والتجدد ومواكبة كل تطور على مر التاريخ واستطاعت ان تخرج من نطاق الصحراء وتغيراتها الضيقة الى عالم الحضارة الواسع لتعبر عن كل ما استجد في هذا العالم من علوم وفنون ومصطلحات [٣].

٣ـ في الحضارة والمجتمع

وللغة اثرها في حضارة المجتمع ، اذ يكون التفكير والتفاهم والتفاعل بين الافكار عن طريقها فهي تنشئ الحضارة وتعبر عنها ، تتميز الأمم بعضها من بعض بلغتها ، لما تؤديه من دور كبير في تكوين الامم وحفظ كيانها وتراثها . فاللغة اذاً قيمة جليلة عدا قيمتها الثقافية لارتباطها بالشعور القومي ارتباطاً وثيقاً[٤] .
ومن مميزاتها ما يجعلها اهلاً للأهتمام والبقاء ففيها فكر وادب وتراث امة ودين اجناس وفي صمودها امام حملات الغزو التي تعرضت لها عبر عصور مختلفة دليل على حيويتها وجمالها [٥] .

٤ـ في الفكر العربي

تهتم الامم بتعليم لغاتها لانها اداة التفكير والتعبير ، واداة التفاهم والتواصل وتتمثل في اللغة خبرات الحياة . بجوانبها المختلفة من معرفة وانفعال ، وفي إدارة وعمل .
واللغة هي الاداة التي يعبر بها الفرد عن مشاعره وعواطفه وحاجاته ، وهي وسيلة التفاهم بين الفرد وبني جنسه . وقد ساعدت اللغة على تطوير الحضارة ، فهي طريق الانسان الى فهم الكون في الحياة .
وقد عمدت الدول المتقدمة الى نشر لغاتها بالوسائل والسبل المختلفة لان حياة اللغة في حياة الامة . واللغة ظل لحياة الامة ومرآة تبدو على سطحها حالة تلك الامة وما عليه من تباه وسمو وركود أو خمول [٦].
والحق ان الشعوب تهتم بلغاتها وتعتز بها ، لانها وسيلة الفرد للتعبير عن مشاعره وافكاره ، بها يتفاهم مع قومه ، وبها يطلع على تجارب الاخرين واللغة لدى المجتمع أداة للتفاعل بين افراده ، ومستودعه الذي يتراكم فيه تراثه وخبراته ، وقناته التي ينتقل من خلالها التراث من جيل الى جيل[٧].

من الحقائق التي لا يمكن تجاهلها هو ان كل أمة تعتز بنفسها وبوجودها ، لابد لها ان تعتز بلغتها ، ولا يوجد من ينكر او يحرم على الاخرين من أن يعبروا عن مشاعرهم بلغتهم ، لذا فان من ابشع انواع السيطرة على الاخرين هو مصادرة مشاعرهم بمصادرة لغتهم .
وعندما يتحدث الانسان ، أي أنسان عن لغته فانه يحاول بكل ما أوتي من العلم وقوة الحجة ، ان يبرهن على أن لغته من اهم اللغات ، وانها لغة حية ، وانها لغة مقدسة ..... الى غير ذلك من النعوت التي يحاول اسبغها عليها لتحبيبها او للتغني بأصالتها وخلودها [٨].

٥-اللغة العربية عند العرب

نحن العرب نعتز بلغتنا العربية ، لغة الضاد ونتشرف بأنتمائنا اليها ، فهي من أغزر اللغات مادة ، وأطوعها في تأليف الجمل وصياغة العبارات ، ومليئة بالألفاظ والكلمات التي تناسب مدارك أبنائها ، وهي أمتن تركيباً واوضح بياناً وأعذب مذاقاً عند أهلها . فهذا الخليفة الثاني عمر بن الخطاب (رض) يقول:
" تعلموا العربية فأنها تثبت العقل وتزيد في المروءة " ويكفي اللغة العربية رفعة وشرفاً أنها لغة الوحي ، تنزل بها الذكر الحكيم ليخرج الناس من الظلمات الى النور[٩].
فاللغة لسان العقل ، وطريق الفكر ، واللغة والفكر عنصران متداخلان يؤثر أحدهما في الآخر ويتأثر به ،وفي أطار هذه العلاقة أشار (ارسطو) قائلاً " ليس ثمة تفكير بدون صورة ذهنية ، وإننا لا نفكر إلا بلفظ ولا نلتفظ إلا بفكر "[١٠] .
لقد أحتلت اللغة نظراً لأهميتها منذ نشوئها ، في مجرى تطورها ، المرتبة الأولى من علاقات الإنسان بالبيئة المحيطة به ، وأخذت الكلمات بمرور الزمن تعبر عن معظم الأشارات وتحل محلها[١١] .

فضل اللغة العربية على التراث

وفي فضل اللغة العربية على غيرها يقول الفراء : " لقد وجدنا للغة العرب فضلاً على لغة جميع الأمم أختصاصاً من الله تعالى ،وكرامة أكرمهم بها " [١٢]
ومن مميزات لغتنا تمكنها من التعبير عن أدق المعاني بفضل إتصافها بنظام الإعراب الذي يحمل العلاقة الإعرابية نصيباً من الدلالة على المعنى زيادة على إتصافها بحرية الرتبة (التقديم والتأخير)[١٣].
وتنبثق أهمية اللغة العربية أيضاً من كونها عنصراً قوياً من عناصر تكوين شخصية الإنسان العربي ، فهي لغة العروبة ومستودع تاريخ الأمة ورمز وحدتها ، فضلاً عن أنها أداة التثقيف التي يعتمد عليها الطالب في تحصيل معارفه ، والأساس الذي يقوم عليه تدريس المواد الدراسية جميعها [١٤] .
فاللغة وسيلة الفرد في التواصل والتعبير عن الأفكار والأحاسيس ،وإكتساب المعارف والفنون ، والإستفادة من تجارب الآخرين ،وهي أداة للتفكير والصلة بينهما وبين الفكر وثيقة ، اذ أن اللغة تعطي الفكر والشكل والمضمون ،وتبلوره وتضفي عليه طابع الوجود ، وهي أداة العقل في التحليل والتركيب والأستنتاج ، والتجويد وأدراك العلاقات . وقد نبه الباحثون منذ زمن طويل على العلاقة بين اللغة والعقل . اذ يقول لويس ماكس مولد : " أنه لا أفكار بدون ألفاظ " [١٥].
لقد تميزت لغتنا العربية عن لغات العالم الأخرى بخصائص فريدة ، فهي توصف بأنها لغة إشتقاق وترادف وتضاد ، وبعد ذلك يكفي اللغة العربية فخراً أنها لغة القرآن الكريم بما فيه من عقيدة وقيم إنسانية رفيعة [١٦] .

اللغة العربية المعاصرة

ونتيجة لأهمية اللغة العربية وحيويتها ، فقد أستطاعت أن تكون احدى اللغات المعروفة في العالم المعاصر، أذ أقبل غير الناطقين بها على تعلمها ، يقول المستشرق الفرنسي (هنري اوسيل) : " لكي تتطور التربية في فرنسا ينبغي للغة العربية أن تكون لغة ثانية حتى يتعلم الطالب الفرنسي من العربية عمق التفكير "[١٧] .

واذا كانت الأمم تعنى بلغتها فأن لغة حية كاللغة العربية يجب أن تحظى بجانب كبير من الأهتمام والرعاية من أبنائها [١٨] . ، جاء في كتاب (فقه اللغة) للثعالبي : " فأن من أحب الله أحب رسوله المصطفى صلى الله عليه وسلم ، ومن أحب النبي العربي أحب العرب ، ومن أحب العرب أحب اللغة العربية التيبها نزل أفضل الكتب على أفضل العجم والعرب ، ومن أحب العربية عني بها وثابر عليها وصرف همه اليها"[١٩] .

واللغة العربية واحدة من اللغات المهمة في العالم من حيث العراقة والأصالة ، فهي اللغة الحقة القوية التي لم تنل منها العاديات والأحداث ،وقد كان الإسلام سبباً في ثباتها في القلوب ، ويعود سبب ذيوعها وإنتشارها بين الأمصار المختلفة لأنها لغة العقيدة والتنزيل ولم يحدث حدثاً في تاريخ اللغة العربية أبعد أثر في تقرير مصيرها من ظهور الإسلام[٢٠] .

ويصعب حصر فوائد اللغة بدقة وفي صفحات قليلة ، فهي أداة التفكير ، إذ يخص اللغة وحدها لأنها وسيلة التعبير ، وما حصل من تطور في الحضارات كافة والذي ما كان يحصل لولا التفكير ، وقد أوضح العالم (دي سوسور) أن الإتصال والتفاهم والتعلم والتعليم عمليات أساسية في الحياة لا يمكن أن تتم الا باللغة [٢١] .

ولهذا إهتم باللغة كثير من التربويين والمختصين قديماً وحديثاً ، عرباً ومستشرقين فذاك (أدور سابير) يؤكد أن اللغة أعظم قوة تجعل من الفرد كائناً أجتماعياً ، وهو بدونها لا يستطيع التعامل مع الآخرين ، زيادة على أنها رمز التضامن الاجتماعي[٢٢] وقد فضلها الكثير من الناطقين بغير العربية على لغتهم لعذوبة جرسها وجمالها وغناها ، حتى قال البيروني قولته المشهورة : " لأن أهجى بالعربية أحب الي من أن أمدح بالفارسية" [٢٣] .

لذا كانت لغتنا جديرة بالعناية والإهتمام ، ويحتل تعليمها مكانة بارزة بين المواد التعليمية في المراحل الدراسية المختلفة . وتتأسس هذه المكانة على الإعتبارات التي مر ذكرها . زد على ذلك أنها لغة التعلم والتعليم لأغلب المواد الدراسية . ولما كانت لغتنا العربية ، بهذه الأهمية وجب أن نعطيها من الرعاية والعناية ما يليق بها ، ويحقق بقاءها وحيويتها[٢٤] .

ولما شرفت اللغة العربية بنزول القرآن الكريم أصبح الأعتزاز بها منوطاً بتلك الكرامة ، ولاسيما أنها لغة قومية إنسانية ، فاللغة القومية هي لغة تحمل رسالة إنسانية ، قد أستطاعت أن تحمل مبادئ الدعوة الجديدة ، وأن تبشر بها بين أقوام مختلفة

وخير دليل على ذلك أن القرآن الكريم توجه الى الناس كافة ، وقد وصف بكونه عربياً في أكثر من آيات الذكر الحكيم[٢٥] .
واللغة العربية لغة حية ، فهي ليست بدائية ، لا تقبل التجدد ، والتطور ، على عكس من ذلك من الوسائل اللغوية ما يجعلها لغة علم ، ولغة الحضارة الحديثة [٢٦] .
إن اللغة العربية أبلغ ما حرك به الإنسان لسانه ، زيادة على أنها لغة القرآن الكريم ، وكبرى دعائم القومية ، بل هي الدعامة التي لولاها لانهارت كل الدعائم وانهارت بانهيارها القومية العربية ، إذ لا قومية بلا وحدة في اللغة [٢٧].
ففخرت العرب منذ القديم بلسانها وبيانها ، وفخرت بأصولها ،وأنسابها كأنها أدركت بسياقها الصلة الوثيقة بين الجانبين ، فاللغة مرآة حياة الأمة والسجل المعبر عن خصائصها [٢٨] .
واللغة العربية تعد أعظم اللغات السامية وقد ذكر العالم اللغوي الكبير (فيرجسون) : " أن اللغة العربية بالنسبة الى عدد المتكلمين بها ، وبالنسبة الى مدى تأثيرها ينبغي أن تعد واحدة من اللغات المهمة في العالم [٢٩] .
ولغتنا العربية لغة عبقرية ، تحددت بها النماذج العليا للفصاحة والبلاغة ، ولها من الخصائص ما جعلها لغة حية قوية ، عاشت واستمرت في تطوير ونماء ، وكانت ومازالت أداة التفكير ونشر الثقافة [٣٠] .
وعلى شعوبنا أن يشعروا باعتزازهم بلغتهم ، وأن يغرسوا هذا الاعتزاز في أذهان أبنائهم ، لأن محبة لغتنا دليل على احترام شخصيتنا العربية ، وكياننا القومي [٣١] .
ولم تكن اللغة العربية قاصرة في مجال التعليم ، فإنها تشارك غيرها من اللغات الحية في وظائفها ، وأهدافها التعليمية ، والتربوية ، بل إن للغة العربية منطلقات معينة ، وسمات فريدة ، تتميز بها من غيرها من اللغات ، ما يجعلها تمثل الركيزة الأولى للتعلم ، وهي العنصر الأساس الذي لا غنى عنه في بناء شخصية المتعلم ،سواء في المدارس ، أم بخصوص تعليم الكبار ، وفي تكوينه الفكري ،والاجتماعي ، والوجداني وتشكيل نظرته الحياة والمجتمع[٣٢] .

النحو في اللغة العربية

إن معرفة اللغة من حيث الأساس ما هي الا معرفة كلمات ومعانيها ، مع الأحاطة بقواعد استعمالها ، واشتقاقها ، وتراكيبها . وإن الكلمات والقواعد ليست مقصورة بذاتها ، بل هي وساطة للتكلم والتفاهم ، فالغرض من تعليمها لا يجوز أن يكون (التعلم المجرد) بل يجب أن يكون (الاستعمال والتطبيق)[٣٣] .
فهذا ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ) يقول : " يرتكز علم اللسان على أربعة أركان هي : اللغة والنحو والبيان والآدب ،وأن النحو يتصدرها إذ به نتبين أصول المقاصد ، بالدلالة فيميز الفاعل عن المفعول ،والمبتدأ عن الخبر ،ولولاه لجهل أهل الإفادة ، وعلم النحو أهم من اللغة ، لأن في جهله الإخلال بالتفاهم جملة ، وليست اللغة كذلك[٣٤] .

إن القواعد النحوية جزء مكمل لعلوم اللغة العربية الآخرى ،ولا يمكن النظر الى القواعد بمعزل عن علوم اللغة الآخرى ، ولا يمكن أن نعتمد على علوم اللغة ونترك القواعد لأن كلاً منهما مكمل للآخر ، فاللغة العربية وحدة متكاملة ، وعلومها مترابطة متماسكة [٣٥] .

والنحو أهم فروع اللغة العربية ، وأكثرها إعتماداً على العقل والتفكير ،ومنه ينطلق الطلبة أو المتعلمون الى بقية فنون الكلام ،وفروعه ، وبه يتمكنون من القراءة السليمة والكتابة الصحيحة ، وتتكون لهم بقواعد رياضية لغوية ذهنية ،تعتمد القياس منهجاً والتحليل تحقيقاً ، اذ يتوفر لهم بذلك حس لغوي ، يمكنهم من هضم اللغة وإستيعابها والإنطلاق منها [٣٦] .

يفوق أثر النحو أقرانه من فروع اللغة الآخرى لأن دراسته تعين المتعلم على أدراك مقاصد الكلام ،وفهم ما يسمع أو يقرأ ، أو يكتب أو يتحدث به منهجاً صحيحاً تستقيم معه المفاهيم وتتضح به المعاني والأفكار لدى المستمع أو القارئ أو المتحدث [٣٧] .

فالنحو وسيلة الفهم وحل اللبس في إدراك المعنى وتميز الخطأ وتجنبه في الكلام ودراسة قواعده تنمي في المتعلم القدرة على التعليل والإستنباط ودقة الملاحظة والموازنة بين التراكيب وتمرنه على دقة التفكير والقياس المنطقي[٣٨] .

وهو الوسيلة الفعالة لأتقان مهارات اللغة . وأن فهم اللغة يحتاج الى فهم القوانين التي تحكم نظامها وتعطيه الصيغة التي بها يؤدي المعنى المقصود . لذا أشارت كثير من الدراسات الى أهمية النظام النحوي بوصفه محور الأنظمة اللغوية وموقعه من اللغة موقع القلب من الجسم [٣٩] . فهو وسيلة من وسائل إتقان مهارات اللغة الأربع (الاستماع ، والقراءة والحديث ، والكتابة) ومن الواضح إن إتقان تلك المهارات لا يمكن أن يكتمل من دون معرفة قواعد النحو[٤٠] .

فالنحو وسيلة لإستيعاب الدلالة المعنوية للمفردات في سياق العبارة .وهو حامي اللغة العربية من التيارات الوافدة التي تتآمر على الإسلام وتكيد للعروبة . لذا نال هذا العلم من علوم اللغة العربية من الدراسة والبحث والإستقصاء ما لم ينله أي علم من علومها[٤١] .

وعلينا أن نعد علم النحو خادماً للغة وليس أصلاً فيها ، ان هو مفيد في تفهم المعنى والربط بين أجزاء الجملة الواحدة ، وتوضيح الغامض من التراكيب ، لذا فإن النحو ضروري لا يستغنى عنه شريطة أن يدرس بهذا القدر الذي يؤدي الغرض من تدريسه .

ودراسة النحو مفيدة أيضاً في التربية الفعلية التي تستند الى التحليل والمقارنة والموازنة والأستنتاج والحكم ، وأستبانة الصواب من الخطأ في التعبيرات المختلفة والتراكيب والجمل [٤٢] .

وتظهر أهمية النحو ومكانته في كلام الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) وبعض الصحابة والأوصياء في تقويم اللسان العربي ، وينهيهم عن اللحن فيه ، ومن ذلك قوله (صلى الله عليه وآله وسلم) :" رحم الله أمرءٍ اصلح من لسانه" [٤٣] .

ولأهمية النحو فقد وصفه أرسطو بأنه منطق الكلام غايته توضح علاقة الكلمة في الجملة بغيرها من الكلمات وبأتضاح هذه العلاقة يتضح المعنى المقصود الذي يراد نقله الى السامع[٤٤] . وتأتي أهمية النحو من أهمية اللغة نفسها ، فلا تكتب اللغة كتابة صحيحة إلا بمعرفة قواعدها النحوية الأساسية[٤٥] .

مما سبق تتضح أهمية النحو وتبدو منزلته ومكانته فهو الوسيلة التي يستعين بها صاحبها للوصول الى العلوم الآخرى من وجهتها الصحيحة ، إذ من الصعب الوصول الى حقائقها وأسرارها من دون ضبط النحو ومعرفة قوانينه والعمل على تطبيقها .

ولكن على الرغم من كل ما سبق في أهمية النحو فإن السؤال الذي يمثل أمامنا في هذا المجال هو: هل حقق تدريس النحو الأهداف المرسومة له في مدارسنا ومعاهدنا ، وجامعاتنا ؟

إن الأجابة عن هذا السؤال بالنفي ، لأن أدراك قواعد النحو ، وحسن استعمالها أصبحت من المشكلات التعليمية المعقدة لدى بعض الطلبة فقد أشتد نفورهم منها ، بحيث أصبح ضعفهم في النحو ملموساً في قرائتهم ، وأحاديثهم وكتاباتهم [٤٦] .

ان دراسة قواعد النحو العربي في الوقت الحاضر تعد مشكلة صعبة نظراً للتقدم الواسع والعميق في تعليم اللغة العربية .

ومن المشكلات التي ظهرت بوضوح في المؤسسات التربوية ، الضعف في النحو العربي .إذ أعلن الشكوى من تدني مستوى أبنائها فيها وينطبق ذلك الحكم على الكثير من طلبة جامعاتنا ومثقفينا ، إذ كثرت الأخطاء النحوية في الأعوام الأخيرة الى حد صار الباحث لا يحتاج الى طول العناء لإستحضار عدد كبير منها فبعد أن كان الأمر إستقصاء الأخطاء ، صار عليه لغزارتها اختيار ما يصلح منها أن يكون إنموذجاً لغيره ، وأن يمثل الضعف النحوي واقع حال الكثير من الجامعات ، ولا سيما المتخرجون في أقسام اللغة العربية من كليات التربية الذين يعدون مدرسين للغة العربية ، إذ تجدهم دون المستوى المطلوب في النحو العربي يقولون كأنها " لغة أجنبية لأننا لا نصل الى هدفنا الا بعد جهد مضنٍ" [٤٧] .

أن جذور مشكلة ضعف أستخدام اللغة العربية في المراحل التعليمية المهمة أصبح عملاً شاقاً ينوء به المدرسون والمعلمون والطلبة ، ذلك إن معظم هؤلاء لا يهضمون ما يتلقونه من علوم لغتهم بيسر وسهولة ، ولا يقبلون عليها بشوق ورغبة . وتأخذ في الواقع هذه المشكلة مديات مختلفة منها ما يتعلق بمدرسي اللغة العربية ، إذ أن ضعف المدرسين في النحو خاصة يجعلهم غير قادرين على تدريسه بالكفاية المطلوبة ، فهم يلقونه لطلبتهم بوصفه غاية بحد ذاته . ولابد أن ينعكس ذلك على الطلبة فينشر بينهم الخطأ في الكتابة واللحن في النطق [٤٨] .

ويكاد ضعف الطلبة في قواعد النحو أن يكون شاملاً وعاماً فهو لا يقتصر على مرحلة دراسية دون أخرى أو صف دراسي دون آخر ، فالمتعلمون غالباً ما يشكون من جفاف النحو المقدم إليهم في مراحل التعليم العام كلها ، ويلاحظ عليهم كثرة

الأخطاء النحوية التي يرتكبونها وعدم قدرتهم على الضبط السليم لأواخر الكلمات نطقاً وكتابة .
اللغة العربية تواجه اليوم صعوبات في توصيلها للناشئة وذلك لا يكمن في طبيعة اللغة العربية ، انما يكمن في تلك القوانين والضوابط التي فسرت في ضوء إزدهار الفلسفة والمنطق في العصر العباسي ، وتدريسها بطرائق تقليدية ، ولابد من الإشارة الى أن تذليل تلك المشكلات يساعد الناشئة على تعميق الوعي في حب لغتهم وتعريبها في أعماق مشاعرهم [٤٩] .
ولما تقدم نالت اللغة العربية إهتمام المربين والباحثين في ميادينها المختلفة ، وإن تعددت الدراسات والبحوث في موضوعاتها ، غير أن كثير من تلك الدراسات أكدت ضعف المتعلمين في اللغة العربية كلاماً ، وكتابة ،وقراءة واستماعاً [٥٠] .
ومما يؤكد هذا الضعف قول سميح أبو مغلي : " ليس ثمة مندومة عن الأعتراف بالضعف المتفشي في اللغة العربية في طرائق التحدث والكتابة والقراءة " [٥١] .
أما المستشرق سنماو فقد قال : " لئن أهجي بالعربية خير من أن أمدح بغيرها " [٥٢] .
وقد يعود السبب في ضعف طلبة النحو وزهدهم فيه الى عوامل كثيرة لعل ابرزها الطرائق التي يدرس بها الآن فقد أصبح علماً جافاً يعاني منه الطلبة معاناة شديدة ، ولا يكاد الجهد المبذول في تدريس هذه المادة ودراستها يعود بثمر مجز له ، فالنتائج التي تترتب عليه تبدو ضئيلة جداً إذا ما قيست بمقدار الطاقة المعروفة فيه [٥٣] .

أهمية تعليم اللغة العربية

القواعد النحوية تحتل مكانة بارزة في مراحل التعليم المختلفة ، فأبن خلدون يعد النحو أهم علوم اللسان العربية قاطبة ، ويقول بهذا الخصوص : " أركان علوم اللسان أربعة هي اللغة والنحو والبيان والأدب ، وأن الأهم المقدم منها هو القواعد ، اذ به نتبين أصول المقاصد بالدلالة فيعرف الفاعل من المفعول به .والمبتدأ من الخبر ولولاه لجهل أصل الأفادة " [٥٤] .
فالقواعد النحوية الدرع الذي يصون اللسان من الخطأ ،ويدر الزلل عن العلم ، فهي تضبط قوانين اللغة الصوتية ، وتراكيب الكلمة والجملة ، وهي ضرورية لا يستغنى عنها وإليها تستند الدراسة في كل لغة ، وكلما نمت اللغة وأتسعت زادت الحاجة الى دراسة القواعد النحوية [٥٥] .
القواعد تنبثق أهميتها من كونها وسيلة لعون اللسان والقلم من الخطأ في التعبير واللحن في اللغة العربية عيب قاومه أهل العربية وعدوه ملتجاً في اللسان وفي القلم ، تشمئز منها الأسماع وتنفر عنه الأنظار ، فقد قيل أن كاتباً لأبي موسى الأشعري كتب الى عمر بن الخطاب (رض) كتاباً بدأ بقوله : " من ابو موسى الأشعري " فرد عليه عمر : " أما بعد فأضرب كاتبك سوطاً واحداً ،آخر عطاءه سنه" ومن ذلك قول الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) عندما سمع رجلاً يلحن : " أرشدوا أخاكم فقد ضل " [٥٦] .

دور تعليم اللغة العربية

تعد اللغة العربية أداة النهوض بالأفراد والجماعات ،وأساساً في حفظ كيان الأمة وبنائها الحضاري ، فالتربية تتصل أتصالاً وثيقاً بالحياة ، وهي عصب البناء الحضاري للأمة ،وأصبحت ميداناً لأستثمار القوى البشرية ، وإعدادها يقتضيه البناء والتعمير .إذ ان ثروات الأمم لا تقدر بما لديها من السكان بل مما يتوافر لها من قوى بشرية مؤهلة قادرة على الانتاج والعمل ، والتربية معنية بذلك ، بما لديها من قدرة على التوجيه الصحيح للتعليم على أساس الكفايات على ان كل متعلم يمكنه الوصول الى الاهداف المناسبة عندما يتوافر له التوجيه المناسب والصحيح الذي يشتمل على المعارف والمهارات والقيم . ويكون التركيز في ذلك على اختيار الاهداف المناسبة ، وعلى تصميم مواقف يمكن للتعليمين استخدامها لاتقان هذه الكفايات وتحقيق الاهداف. (٥٧)

والتعليم والتربية زيادة على ما تقدم عطاء إنساني يحقق تطوراً وارتقاء نحو مستويات افضل من غيرها للافراد والجماعات لذا نالت اهتمام الامم وعنايتها بوصفها المصدر الاساسي الذي يعتمد عليه التغير الاجتماعي ، وسبيل الثورات الاصلاحية الرامية الى تحقيق اهداف الامم ومبادئها . (٥٨)

ولما كان التعليم يعنيء بمساعدة الفرد على التكيّف والتفاعل مع ما حوله من متغيرات ومستجدات ، فقد تطلب ذلك التكيف وعياً كافياً يتمثل في الاحاطة بجانب من التعليم والعلم و المعارف والتفكير السليم لاستيعاب مفردات البيئة وادراك ما فيها من علاقات ، وتأثير وتأثر . ويعتمد هذا الوعي على تعليم اللغة العربية الصحيحة ، ويعد في مقدمة الوسائل لتحقيق ذلك الوعي لكونها تسهم في تجريد الواقع الذي يعيشه الفرد بما فيه ، وتحوله الى رموز ، تتمثل في اللغة ، تساعد على الاحاطة بهذا الواقع بشكل عميق . (٥٩)

ولما كان تعليم اللغة العربية وسيلة التربية في تحقيق اهدافها ومصدراً لتلبية مطالب الامة من القوى البشرية الفاعلة بوصفه ميداناً يعكس وظائف التربية ، واهدفها من خلال المؤسسات التربوية ، التي تتولى مهمة صنع الشخصية الانسانية ، على وفق منظور الامة لهذا الصنع . ازداد الاهتمام بتعليم اللغة وعدَ رفع مستواه شرطاً مهما لكل مجتمع يروم التقدم والتطور في المجتمعات العربية والإسلامية . (٦٠)

وان معرفه مدرس اللغة العربية لاساليب التعليم والتدريس الحديثة له أثر بالغ الاهمية في تحقيق ما يهدف اليه من تعليم فروع اللغة العربية المختلفة ، وبخاصة تعليم ادب القواعد النحوية . وهذا يتطلب في الواقع ان يكون مدرس اللغة العربية باعث رئيس في ايجاد الوعي اللغوي لمن يقع ضمن مسؤوليته ، سبب انه يشكل أهم المتغيرات الرئيسة في العملية التعليمية ، وان أداءه يعكس قدراته الفعلية ، وخبراته السابقة ، ومستوى معرفته باللغة وفروعها ، ومستوى اعداده لمهنة التدريس عامة ، وتوجيه وتعليم اللغة العربية خاصة . وذلك لان الكتاب التعليمي مهما بلغت درجه علميته

،وتقدمه لا يمكن ان يحقق نجاح العملية التعليمية ، مالم يكن هنالك مدرس معد اعداداً متكاملاً ينفذ محتوى هذا الكتاب توجيهاً لغوياً صحيحاً.[٦١]

الهوامش

(١) سورة الشعراء ، الآية : ١٩٢- ١٩٥ .
(٢) سورة يوسف ، الآية : ٢

والمصادر

القران الكريم
(١) الحصري ، ساطع . دروس في أصول التدريس ، دار غندور ، (بيروت ، ١٩٦٣) ، ج٢ ، ص١٠ .
(٢) الأصفهاني ، أبو فرج . الأغاني ، تحقيق عبد الستار فراج ، (بيروت ، ب. ت) ، ج٢١ ، ص٢٢٥ .
(٣) الصفار ، ابتسام مرهون ، حول مشروع اللغة العربية الأساسية . مجلة اللسان العربي ، مكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي ، الرباط ـ المغرب ، العدد الأول ، المجلد الثالث عشر ، ١٩٧٦م ، ص٥ .
(٤) الطاهر ، علي جواد . تدريس اللغة العربية في المدارس المتوسطة والثانوية ، مطبعة النعمان ، (النجف ، ١٩٦٩م) ، ص١٥ .
(٥) الحصري ساطع . دروس في اصول تدريس اللغة العربية ، دار عندور ، (بيروت ، ١٩٦٣ م) ، ج٣ ، ص٥ .
(٦) الابراشي ، محمد عطية . لغة العرب وكيف تنهض بها ، مكتبة النهضة العربية ، ١٩٤٧م ، ط١ ، ص٦ .
(٧) جعفر ، نوري . الفكر طبيعته وتطوره ،مطبعة الكتاب ، (بيروت ، ١٩٧٠م) ، ط١ ، ص١٤٩ .
(٨) الدليمي ، طه علي حسين . تحليل الجملة في تدريس قواعد اللغة العربية وأثره في التحصيل وفي تجنب الخطأ النحوي لطلبة المرحلة الاعدادية ، (رسالة دكتوراه غير منشورة) ، كلية التربية ابن رشد ، جامعة بغداد ، ١٩٨٩م ، ص٦ .
(٩) المملكة الاردنية الهاشمية ، وزارة التربية والتعليم ، رسالة المعلم ، العدد السادس ، المجلد السادس والعشرون ، ١٩٩٥م ، ص٩٥ .
(١٠) سمك، محمد صالح . فن التدريس للغة العربية وانطباعاتها المسلكية وانماطها العلمية ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٧٥م ، ص٢٢ .
(١١) المصدر نفسه ،ص٢٣٤ .
(١٢) السامرائي ، ابراهيم . فقه اللغة المقارن ، دار العلم للملايين ، (بيروت ، ب . ت) ، ط٢ ، ص١٠ .
(١٣) وزارة التعليم الابتدائي والثانوي في المملكة المغربية . مجلة الرسالة التربوية ، العدد الخامس ، ١٩٧٧م ، ص١٥ .
(١٤) العادلي ، شاكر غني . القراءة واصول تدريسها للمشرفين والمعلمين ، المديرية للاعداد معهد التدريب والتطوير التربوي ، بحث مسحوب بالرونيو ، (ب. ت) ، ص٢ .
(١٥) ظافر ، محمد اسماعيل ، يوسف حمادي . التدريس في اللغة العربية ، دار المريخ للنشر ، (السعودية ، ١٩٨٤م) ، ص٢٣ .

(١٦) جامعة الدول العربية والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ادارة التربية استراتيجية التربية العربية ، ادارة التوثيق المعلومات واليونسكو ، ١٩٧٦م ، ص٤٢٠ .
(١٧) جمهورية العراق ، وزارة التربية لجنه وضع المواد الدراسية للغة العربية،(بغداد ، ١٩٨٦م) ، ص٣ .
(١٨) يونس ، فتحي علي ،وآخرون . اساسيات تعليم اللغة العربية والتربية الدينية ، دار الثقافة ، (القاهرة ، ١٩٨١م) ، ص٢٠٩ .
(١٩) الثعالبي ، ابو منصور . كتاب فقة اللغة العربية واسرار العربية ، دار مكتبة الحياة ، (بيروت ، ب.ت) ، ص٢ .
(٢٠) فك يوهان . العربية ـ دراسات في اللغة واللهجات والاساليب ، ترجمة عبد الحليم النجار ، مطبعة الكتاب العربي ، (القاهرة ، ١٩٥١م) ، ص١٧.
(٢١) دي سوسور ، فردينان . علم اللغة العام ،ترجمة يوئيل يوسف عزيز ، دار افاق عربية ،(بغداد ١٩٨٥م) ، ص٢٤٥ .
(٢٢) السعران ، محمد . اللغة والمجتمع رأي ومنهج ، (الاسكندرية ، ١٩٦٣م) ، ط٢ ، ص٩ .
(٢٣) الهاشمي ، عبد علي . مشكلات تدريس التعبير التحريري في المدارس الاعدادية في العراق ، رسالة ماجستير (غير منشورة) ، جامعة بغداد ، كلية التربية ، ١٩٨٨م ، ص٥ .
(٢٤) الداقوقي ، حسين علي .الوسائل التعليمية في التدريس للصفين الخامس والسادس في المرحلة الابتدائية ،مجلة العلم الجديد ،وزارة التربية العدد(٣) ، بغداد ، تشرين اول ، ١٩٨٥م ، ص٣٥ .
(٢٥) السيد ، محمود احمد . الموجز في الوظائف تدريس اللغة العربية وآدابها ، دار العودة ، (بيروت ، ١٩٨٠م) ، ط١ ، ج١ ، ص١٠ .
(٢٦) السامرائي ، ابراهيم . تنمية اللغة العربية في العصر الحديث ، مطبعة الجبلاوي ، (مصر ، ١٩٧٣م) ، ص١٨ .
(٢٧) معروف ، نايف . خصائص العربية وطرائق تدريسها ، دار النفائس ، (بيروت ، ١٩٨٥م) ، ط١ ، ص٥١ .
(٢٨) ظافر ، المصدر السابق ، ص٤٨ -٤٩ .
(٢٩) يونس ، فتحي علي . تصميم منهج لتعليم اللغة العربية للأجانب ، بحث تجريبي ، جامعة عين شمس ، كلية التربية ، ١٩٨٦م ، ص٤٣ .
(٣٠) غلوم ، عائشة عبد الرحمن . قواعد اللغة العربية ، اهميتها ، مشكلات تعلمها ، مجلة التربية المستمرة بالبحرين ، العدد ٥ ، ١٩٨٢م ، ص٦ .
(٣١) المصدر نفسه ، ص١٤ .
(٣٢) المصدر نفسه ، ص٦ .
(٣٣) الحصري ، علي منير ويوسف العنزي .طرائق التدريس العامة ، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع ، (الكويت ، ٢٠٠٠) ، ص١٠ .
(٣٤) ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد ، (ت ، ٨٠٨ هـ) . مقدمة ابن خلدون ، دار القلم ،(بيروت ، ١٩٧٨م) ، ص٥١٤ .
(٣٥) إبراهيم ، عبد العليم . الموجه الفني لمدرسي اللغة العربية ، (دار المعارف بمصر ، ١٩٧٣م) ، ط٧ ، ص٥٠ .
(٣٦) اللبدي ، محمد سعيد نجيب . المتعلمون وقواعد النحو ، مجلة العلم ، العدد ٣ ، عمان ، ١٩٩٩م ، ص٨١ .

(٣٧) محمود ، عبد الرحمن كامل . تدريس النحو في المرحلة الابتدائية باستخدام الصور التركيبة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، (تونس ، ١٩٩٦م) ، مج٦ ، ع١ ، ص٣١.
(٣٨) إبراهيم ، المصدر السباق ، ١٩٦٨ ، ط٤ ، ص٢٠٥ .
(٣٩) حمادي ، حمزة عبد الواحد . دراسة مقارنه لاثر اسلوبي اللغة العربية التقليدي والتكاملي في تحصيل الطلبة ، جامعة بغداد ـ كلية التربية ، ابن رشد ، رسالة ماجستير (غير منشورة) ، ١٩٨٦م ، ص٢٩٩ .
(٤٠) عبده ، داود عطية . نحو تعليم اللغة العربية وظيفياً ، مؤسسة دار العلوم ، (الكويت ، ١٩٧٩م) ، ط١ ، ص٥٢- ص٥٣ .
(٤١) عبد ، محمد . في اللغة ودراساتها ، (القاهرة ، ١٩٧٤م) ، ص٩٩ .
(٤٢) الهاشمي ، عابد توفيق . الموجه العلمي لمدرسي اللغة العربية ، ط٣ ، ١٩٨٠، ص٨٠- ص٨١ .
(٤٣) الزجاجي ، ابو القاسم . الايضاح في علم النحو ، تحقيق مازن المبارك ، دار العروبة ، مطبعة المدني ، (مصر ، ١٩٥٩م) ، ص٤٣ .
(٤٤) المصدر نفسه ، ص٨ .
(٤٥) زريق ، معروف مصطفى . كيف تلقى درساً ، ط٢ ، دار النشر للتربية الحديثة ، (القاهرة ، ١٩٦٠م) ، ط٢ ، ص١٥٢ .
(٤٦) المصدر نفسه ، ص٦٤٤ .
(٤٧) ابن قتيبة ، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (ت٢٧٦هـ) . عيون الاخبار ، وزارة الثقافة والارشاد القومي ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، مطبعة مانوسيان ، (مصر ، ١٩٦٣م) ، ج٢ ، ص٢٧٦ .
(٤٨) الهاشمي ،عابد توفيق . اللغة العربية والطرق العلمية لتدريسها ، بغداد ،مطبعة الرشاد ، ١٩٦٧م ، ص١٥ .
(٤٩) عبد الهادي ، حسيني . الاتجاهات الحديثة لتدريس اللغة العربية في المرحلتين الاعدادية والثانوية ، مركز الاسكندرية للكتاب ، (القاهرة ، ٢٠٠٠) ،ص ٣٣٢- ٣٣٣ .
(٥٠) مدكور ، احمد علي . تقويم منهج تعليم اللغة العربية بالمرحلة المتوسطة في ضوء اهدافه ، (ب.ت) ، ص٩٠ .
(٥١) أبو مغلي ، سميح . الاساليب الحديثة لتدريس اللغة العربية ،دار محمد لاوي للنشر والتوزيع ، (عمان ، ١٩٨٦م) ، ط٢ ، ص١٠٧ .
(٥٢) أبو صالح ، محمد بدر الدين . المدخل الى العربية ، ابحاث توجيهية في اللغة العربية مكتبة الشرق ، (ب.ت) ، ط١ ، ص٦ .
(٥٣) ابو جناح ، صاحب جعفر . الدرس النحوي وازمة الكتاب المنهجي ، بحوث المؤتمر العلمي الاول المعقود بين ٤-٦ آيار ١٩٨٦م ، العراق ، جامعة الموصل ، مديرية دار الكتب للطباعة والنشر (الموصل ،١٩٨٧م) ، ص٧١ .
(٥٤) أبن خلدون ، المصدر السابق ، ص٥٤٥ .
(٥٥) المصدر نفسه ، ص٨١ .
(٥٦) زين العابدين ، محمد الهاشمي . في التدريس الاصيل ، الشركة التونسية للتوزيع ،(تونس ، ١٩٧٨م) ، ص١٢٤ .
(٥٧) داود ، عزيز حنا . دراسات وقراءات نفسية وتربوية ، القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ،(القاهرة ، ١٩٨٤م) ، ط٢ ، ج١ ، ص٣٦ .

(**٥٨**) عفيفي ، محمد الهادي .في اصول التربية ، الاصول الثقافية للتربية ، مكتبة الانجلو المصرية (القاهرة ،١٩٧٤م) ، ص٤٦ .
(**٥٩**) كلاسن. جورج . الالسنية ولغة الطفل العربي ، المنشورات الجامعية ، (بيروت ، ١٩٨٤م) ، ط٢ ، ص٣٣ .
(**٦٠**) العراق ، وزارة التربية . الجهاز المركزي للاحصاء ، دائرة الاحصاء الاجتماعي ، في سبيل تنظيم جهود وزارة التربية لتنفيذ قانون ١٤٢لسنة ١٩٧٤م ، (بغداد، ١٩٧٥م) ، ص٢٤٢ .
(**٦١**) مكتب التربية لدول الخليج . وقائع ندوات تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها ، مطبعة مكتب التربية لدول الخليج العربي ، (الرياض ، ١٩٨٥م) ، ج٣ ، ص١٣٠.